جوانب من المظاهر الحضارية للساحل الفينيقي خلال الألف الثانية: ق. م

الأستاذ مريقي طارق – جامعة الاغواط – الجزائر

1– الهجرات البشرية نحو الساحل الفينيقي خلال الألف الثانية ق.م :

أ– التركيبة البشرية للساحل الفينيقيي:

خلال الألف الثانية ق.م ، في حوالي القرن الرابع عشر كان يسكن الساحل الفينيقي عناصر بشرية متعددة ، كالحوريين ، والحيثيين [1]، إلا أن الساميين كانوا الطرف الوحيد الذي إستطاع أن يسيطر على المنطقة ، في وقت لم تكن العناصر الأخرى تشكل سوى أقليات صغيرة لا تؤثر على أوضاع الساحل الفينيقي ، والسبب في هذا التنوع يرجع بالدرجة الأولى إلى الموقع الإستراتيجي الذي تتمتع به المنطقة ،الذي يتوسط الشرق و الغرب و الجنوب و الشمال وهي منطقة كانت آهلة بالسكان ، ولو أنه في الواقع يلاحظ أن هذه المنطقة الفينيقية كان يسودها العنصر الإيراني أو الشرقي و لم يفد عليها العنصر الشبيه بالأرمنيين إلا خلال الألف الثانية ق م[2] وهو ما يجعل الإستنتاج يؤدي بنا إلى اعتبار أن كل تلك الأقوام تكون قد نزحت الى فينيقيا من مناطق مجاورة لها ، وفي مقدمتها العنصر السامي الذي كان سائدا في موطنه الأصلي بجنوب شبه الجزيرة العربية ، و الذي بدأ في النزوح نحو الشمال ، باتجاه البادية ثم التقدم نحو الشمال أكثر فأكثر وذلك منذ وقت مبكر يرجع إلى حوالي الألف الرابعة ، واستطاع التفوق على السكان الذين سبقوهم الى الاستقرار بها ، وأخضعوها لسيطرتهم ، وتم إندماج الجميع في وحدة

[1] - S.Moscati .L'orient Avant Les G recs,PUF,paris 1963,p,228.

[2] - موسكاتي سابتينو. الحضارات السامية القديمة , ص, 50.

بشرية واحدة مما أدى ،مع مرور الزمن ،إلى تغلب الطابع السامي عليها وأدى بها تفوقها ذلك إلى تأسيس إمبراطوريات عظيمة لهم في الشرق الأدنى كان على رأسها بابل، و أشور ببلاد الرافدين .

ب- الهجرات السامية نحو الساحل الفينيقي:

وقد سجل التاريخ لهذه الأقوام السامية عدة هجرات متتالية(**أنظر الملحق رقم(1)**) عبر فترات زمنية مختلفة إبتداءاً من الألف الرابعة ق م ، ذلك أننا نلاحظ أنه في حوالي سنة 3000 ق م تم استقرار الكثير منهم في الصحراء ، و لم يأت عام 2500 ق م حتى كانوا يعيشون في مدن تحيط بها الأسوار [(1)]

بدأت هذه المرحلة المبكرة إبان بدء العصور التاريخية حيث بدأت الهجرة الكنعانية من السواحل العراقية للخليج العربي وضفاف الفرات الجنوبي ،وربما اتخذ مسار هذه الهجرة طريقين : الأول مع نهر الفرات صعودا ، ثم الاتجاه إلى السواحل الفينيقية الشمالية وتأسيس المدن الفينيقية أما الهجرة الثانية فكانت براً باتجاه فلسطين مباشرة ، وقد استقر المهاجرون في مدن ساحلية وداخلية ، ونرجح أن يكون استقرارهم في المدن الداخلية هو الأقدم ثم نزحوا منها وأسسوا المدن الساحلية الفلسطينية ،في حين استقرت الهجرة الأمورية في المناطق السهلية شرق نهر العاصي والليطاني في سوريا ولبنان وفي شرق نهر الأردن ، أما الهجرة الأرامية فقد اتخذت لها من جبال العراق وسوريا مستقراً لقرون طويلة ، ثم حلت محل الأموريين في سوريا بشكل خاص وحول ضفاف دجلة والفرات[(2)] .

---

[1] – **برستيد هنري جيمس ، إنتصار الحضارة، دار الشرق القديم ،ترجمة أحمد فخري مكتبة الأنجلومصرية،القاهرة، 1969،ص، 115**

[2] – **موسكاتي سابتينو، الحضارات السامية القديمة ، ص ،51.**

وقـد حملت هذه الهجرات العناصر المعروفة بالـكنعانيين في فلسطين و ساحل سـوريا و استوطن آخرون في الشمال الـشرقي ، وفي الشرق من الهلال الخـصيب ، من بينهم الأكديون ثم الـعموريون و استمر توافد تلك السيول البشرية الـكبيرة حتى الـنصف الثاني من الألف الثانية ق م و التي جاءت بالأنبـاط إلى سوريا ، وهو الأمر الـذي جعل من الـصحراء ما يـشبه خـزان ضـخم للبشر مثل مصدر إمـدادات مستمر للهجرات السـامية الأولى ، مما عزز موقـفهم في الـبلاد باستمرار ، عكس العناصر الهـندوأوروبية التي لم يكن لها وزن في المـنطقة .

نـرى أن المدن الـفينيقية الـشمالية قـادرة على الإفـصاح عن اسم الـكنعانيين الـذي وفـدوا به إلى فينيقيا ،فنـحن نجد هذه المـدن مثل (رأس الشمراء) تحمل الاسـم العتيق جـداً للكنعانيين[1].

ولا شك أن الأقوام المهاجرة لم تجد أرضاً بكراً في فينيقيـا ،فقد كانت الأقوام التي ظهرت في العصرين الحجري(النيوليت) والمعدني (كالكوليت) قدكونت دويلات محلية خاصة بها خصوصاً في تل المريبط وتل الرمد ومنطقة المنحطة والبيضاء وغيرها...، وهكذا اندمجت الأقوام المهاجرة مع الأقوام المحلية وبدأ عصر المدن في فينيقيا [2].

واخـتلفت أسباب نزوح تلك الأعداد الهائلة من الساميين نحو الـشمال ، ولـكن أساسها يعود بالدرجة الأولى للظروف الطبيعية وعـوامل الجفاف التي عمت بـالمنطقة وأدت بـدورها إلى تجـريد المنطقة من كل اهـمية اقتصادية مما

[1] ـــ خزعل الماجدي ،المعتقدات الكنعانية ,ط1,دار الشروق للنشر والتوزيع,عمان2001,ص,24.

[2] ـــ أذزارد وآخرون،قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين وفي الحضارة السورية,ترجمة محمد وحيد خياطة,مكتب سومر,حلب,السليمانية1987,ص,144.

قلل الــفرص أمام الكثيرين في الــعيش ولو أنه توفرت مــناطق ضيقة انحــصرت في أطراف السواحل الــطويلة للبحر الأحمر و الخــليج ، إلا أنهــا لم تكن قــادرة على أن تفي بحــاجة السكان الــغذائية ، ونــظراً للقرب المــوجود بين مــنطقة فيــنيقيا و الصحراء ، وبموجب الاتــصال الذي كــان يحدث بين شــعوب المنطقتين بسبب عملية الترحــال ، التي يــقوم بها سكان الصحراء بحــثا عن الــكلأ لمــواشيهم ، فإنه ليس من شــك أن تــكون هذه الــبلاد قد أصبحت محــل إغراء لسكان الجــنوب الــساميين الذين كانوا في معظمهم بــدوا رحلا ، وخــاصة بادية الفينيقيين القريبة منهم، الــتي مثلت مــوضوع جــذب ودفع عندما اصبحت بدورهــا غير قادرة عــلى أن تفي بحــاجة تلك الأعــداد الضخمة الوافــدة عليها ، التي لم تكن أمامها إلا حل وحيد وهو التقدم نحــو مناطق أخصب في الشمال .

وعلى الــرغم من المشاكل و الــصعوبات التي وقفت أمــامهم وحالت دون اســتقرارهم إلا أنهم استطاعوا تثبيت أنفسهم في تلك المناطق الجديدة نظرا لعوامل عدة ساعدتهم على تحــقيق ذلك و التي يــعود أهمها إلى الإمدادات البــشرية التي كــانت تدعمهم بين الحــين والآخــر،والتي حملت نفس المميزات ،سمحت للــجميع بالتجاوب بين المستقرين والوافدين ، حيث يأتي على رأسها الجانب اللــغوي الذي يبدو فيه تشابه كــبير في أصوات وصيغ وتــراكيب ومفردات لغاتها مما يجعلها ذات أصل مــشترك ، وينفي بذلك كــل فرضية اقتــباس فيما بــينها عبر الــتاريخ ،يضاف إلى هذا الــشبه في النظم

الاجـــتماعية والـــدينية لتلك الشعوب السامية ،إلى جانب كونها تؤلف كتلة واحدة على الصعيد الجغرافي ثم اشتراكها في أصل حضاري تاريخي واحد[1].

وكـــما عاشت معظم هذه الشعوب في الصحراء لا تعرف الاســـتقرار إطلاقاً ،تنـــعم بحياة حرة مـــطلقة ،تضرب خيامها أينما شاءت تعتمد على السائمة والغزو ولا تعرف للتمدن سبيلاً ،تتنقل مع قطعان أغنامها ،تقصد بعض مدن الهلال الخصيب لشراء الثياب والأدوات وتعلمت بذلك نقل السلع من مكان إلى آخر ،فأصبحت الناقلة للتجارة بين مدينة وأخرى [2] ،ثم سيطرت على تلك التجارة وأوصلتها الى لمختلف المناطق في الصحراء .

وفي المجـــال الديني لم تنشأ لديهم الديـــانة إلا في الواحات الرملية وكانت ذا معتقد وثني لا أكثر فعبدت النجوم ،والأحجار والأشجار والأماكن وغيرها ،والمهم هو أن هؤلاء البدو القادمين من الصحراء اختلف اندماجهم في المجتمعات التي وصلوا إليها فمنهم من ترك الأساليب التي كانوا يعيشونها ،وفكروا في حياة أفضل كالأشوريين ،والبابليين ولكن آخرين كالعرب والعبرانيين إحتفظوا طوال تاريخهم بالعداء لكل صورة من صور الحكم المطلق[3].

ج– هجرات الهندو اوربين نحو الساحل الفينيقي:

وكـــما ذكرنا من قبل فإن العنصر السامي لم يكن وحده السائد في بلاد الشام وإنما وجدت إلى جانبه عناصر ذات أصل هندو–أوربي ،يبدو أنها قد نزحت من أوربا عبر البسفور أو أنها انـــتقلت مباشرة من آسيا نحو الشرق الأدنى ،إلا أن اصلها الحـــقيقي ،أو موطنها الأول يبقى مجهولاً بالرغم من الدراسات الكثيرة التي

---

1 - سباتينو موسكاتي. الحضارات السامية, ص ص, 44–49.

2 ـــ برستيد جيمس هنري.المرجع السابق,ص،154.

3 ـــ نفس المرجع,ص،58.

أدرجت حول الموضوع ،فهناك من ذهب إلى القول أن أصلها من "بامير" بأواسـط آسيا "طاجاخستان" اليوم ثم هاجرت نحو إيـران أو الهند أو أوروبا في حـين يرى البعض الآخر أن أصلها من أوروبـا في نواحي بحر الـبلطيق ،وربمـا اسكندنـافية ،إلا أن غيرهم أعاد موطنها الأصلي إلى روسيـا الجنوبية من الدانوب والفولغا ،أما من الناحية الأنثروبولوجية فيرى الكثير من العلماء ،أن روسيا الوسطى الجنوبية والشرقية و سيبيريا الـغربية هي مهد للسلالة الـنوردية ذات الـرأس الممـدود في العهد الباليوليتي حيث تحولت منهـا جماعات لتحتل منطقة البلـطيق وألمانيا وأسكندنافية بعد أن إنحصر عنها الجلـيد ويـأخذ البعض ، النورديين كـمقياس لمعرفة الهنـدوأوروبيين الأصليين غير أنه من النـاحية الأثرية لوحظ في المنـاطق بين روسيـا الجنوبية والدنبير والأورال في المـرحلة الباليوليتية إشعـاع حضاري عرفـت بحضارة "تمولي"، "Tumuli" من صنع عنـاصر ذات رؤس ممدودة أكـتشفت في قـبورهم بـقايا أحـصنة وعربـات ،وهو الحـيوان الذي دجنه الهندوأوروبـيين بعد أن اضـافوا إلـيه العربة[1].

وبعد كل هذه الإحتمالات والأدلة التي أدرجت حول أصل وموطن أولئك الهندوأوروبيين فإن الإحتمال الكبير يقى منصبا على آسيا الوسطى ،كمنطقة عاش فيها أجداد الأوروبيين والفرس وأروبي الهند ،وأستدل على ذلك بما وجد بين لغاتهم من تشابه مثلما كان عليه الحال أثناء تطرقنا للعنصر السامي حيث أنه من أهم مميزات التشابه اللغوي بين جماعاته .

G.FOUGERES.et WITRES.Les premieres civilisations - [1] libr ,feliy hlean,2edit,paris1929,pp,124-127.

هذا ويمكننا الإشارة إلى أنه عند وصولهم إلى الشرق الأدنى تمركزوا في بداية الأمر في العراق وكونوا ما يعرف بالسوماريين ،خلال الألف الثالثة ق.م.

أما في الساحل الفينيقي أثناء الألف الثانية ق.م فلم يكونوا يمثلون إلا ثلة قليلة بالمقارنة مع سكان مناطق الجنوب أو الشرق للوصول الى السيطرة على الهلال الخصيب ، إلا أن الساميين كانوا أكثر إستعداداً وقوة للاحتفاظ بفنيقيا ،ولو بالتعاون مع من هم أقرب منهم صلة كالمصريين مثلا قبل أن تظهر الدولة الأشورية وتضم كل منطقة الشرق الأدنى إلى نفوذها تقريباً وهو الأمر الذي حرم الهندوأوروبيين من الاستقرار في المنطقة [(1)].

2- أوضاع الساحل الفينيقي السياسية أثناء الألف الثانية ق.م :

طبع الحياة السياسية بالساحل الفينيقي خلال معظم فترات الألف الثانية الإنقسام و التفرق بين سكانها ، مما أدى إلى سيادة ممالك المدن خلال تلك الفترة الزمنية فتنافست فيما بينها من أجل إمتلاك أكبر مساحة ممكنة ولو إن هذا الوضع اوحت به ظروف معينة يأتي على رأسها الظروف التضاريسية التي صعبت الإتصال بين أبناء البلاد وبين مختلف مناطقها وهذاانعكس بدوره سلبيا على حياة شعوبها حيث أدى إلى إختلاف ميول أهلها إلى جانب وجود مشكل تمثل في اختلاف قومياتها القليلة أحيانا ، وهو ما صعب الأمر أمامهم في تكوين إمبراطورية موحدة على غرار ما فعله جيرانهم ويمكننا إستخلاص ذلك بسهولة عند إلقاء نظرة سريعة على الوضع الجغرافي للبلاد ، و الذي يظهر من الوهلة الأولى ومن خلال السهل الساحلي الذي تركزت به أهم الوحدات السياسية التي كانت نموذجا واضحا للوضع السياسي العام السائد في البلاد المتمثل في ممالك المدن المستقلة

---

[1] - **أدوفن بفن. ما بين النهرين ,ترجمة أنستاس ماري الكرملي ولويس مرتين الكرملي,دار المعارف,بغداد 1961,ص،31.**

المحصنة وهي ظروف كانت تتناسب ورغبة الأهالي الذين لم يفكرو في البحث عن الوحدة في أغلب الأحيان ولو أن الطبقات الأرستقراطية بدورها والتي كانت تتولى أمور المدينة عملت على استمرار مثل هذه الأوضاع لتحقيق أغراضها ، أطماعها ، في الوصول إلى الحكم ، ذلك نجد أن هذه الممالك قضت معظم حياتها تحت نفوذ دولة شمالية أو جنوبية أي دول بلاد الرافدين أو مصر و لم تذق الإستقلال إلا في فترات ضعف الإمبراطوريات العظمى في المنطقة (1)

ومهما يكن من أمر تلك الممالك فإن معظمها انطلاقا من شمال الساحل السوري حتى جنوب فلسطين كانت تتبع نفس النظام السياسي تقريبا الذي أطلق عليه " موسكاتي " مصطلح "الدول العازلة" (2) (Etats Tampons) المحصورة بين قوى عظمى أقوى منها حيث اختلفت فيما بينها من حيث الأهمية و التنظيم و القوة و الإزدهار إلا أن أصحابها حرصوا على تحصينها بالأسوار و الأبراج و تعاملوا مع سكان الأرياف إقتصاديا في فترات الحرب فتعددت بذلك وظائفها بالنسبة لهم .

وعند محاولة تحديد نظام حكمها الذي كان ملكيا طبعا ، فإننا عادة نجد على رأس المدينة ملك وراثي يتمتع بالسلطة المطلقة وإلى جانبه مجالس ذات نفوذ معتبر في تسيير شؤون البلاد،وكان أهمها مجلس الشيوخ ، ومجلس القضاة (3) . و كان معظم أعضائها من الأغنياء مما يجعلنا نقول أنها كانت تمثل نفوذ الطبقة الغنية في المملكة في وقت لم يكن فيه للشعب أي إعتبار يذكر تقريبا في الإشراف على توجيه سياسة البلاد ، وعلى كل فإن هذه الممالك لم تحاول المغامرة في سياستها

---

[1] - هنري لامانس السواحل اللبنانية,مجلة المشرق,السنة السابعة العدد20ص،948.

[2] - J. Auboyer. et Andre Aymar . Histoive General de curlisation . p.u.f.paris 1963 p 223

[3] - Opcit p, 223

الخارجية و التطلع إلى توسيع نفوذها أو حدودها وإنما اكتفت بالعمل على الدفاع عن نفسها بالمبادرة إلى تكوين فرق من الجيش المختلفة في حجمها ،من أبناء المدن والمناطق المجاورة لها ، مجهزة بأسلحة عادية كالسيف وربما العربات التي كانت قليلة الاستعمال والرماح والدروع ،والفرسان ولو أن هذه الفرق العسكرية لم تكن في الحقيقة قادرة على تأدية وظيفتها على أحسن وجه أمام الجيوش الجرارة المصرية أو الحيثية وغيرها من جيوش بلاد الرافدين ،وهو ما دفع بها في كثير من الأحيان إلى تكوين أحلاف دفاعية مؤقتة ،لا فاعلية لها مثلما كان الحال في معركة "مجدو" أمام الفرعون "تحوتمس الثالث" الذي تحالف ضده أكثر من 350 أمير وملك من فينيقيا [1] ،ويلاحظ أن معظم تلك الجيوش كانت تدعم بالمرتزقة عند الضرورة وأدى التنافس بين هذه الممالك إلى استغلال تلك الفرق في غير محلها ضد بعضها البعض حيث تصادمت في أحيان كثيرة إلا أن ذلك الصراع لم يتخذ في يوم ما طابع الاستمرارية وإنهاك القوى مثلما كان عليه الحال بين المدن الإغريقية "أثينا"و"إسبرطا".

وقد نال الساحل الفينيقي مكانة خاصة لدى المصريين وعرفت عندهم باسم بلاد "الرنتو" وعند انتهاء ثورة "أخناتون" كانت هذه المنطقة مقسمة إلى قسمين : القسم الأول يضم بلاد سوريا ويطلق عليه "اللوتانو الأعلى" وكانت بيد الحيثيين و"اللوتانو السفلى" وشملت فلسطين وأقصى جنوب سوريا وكانت بيد العموريين والخابيرو [2] ،الذي يحتمل أنهم نزحوا من بلاد الرافدين في منتصف الألف الثانية حيث تسللوا إلى مناطق النفوذ

---

1 - **فليب حتي.تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ,ص،140.**

2 - **A. Moret.Des clans Aux Empires-la renaissance du livre, paris1923,p, 354.**

الحيثـــي ثم وصلوا إلى سوريا وفلسطـــين [1] ، وانخرطوا في جيـــش من يعرض علـــيهم أكبر قـــدر من المـــال ولو أن هدفـــهم كان يرمي بالدرجة الأولـــى من خلال كـــل هذا النشـــاط إلى الوصـــول للاستقـــرار ويحتمل الـــبعض أن يـــكون أولئـــك الأقوام أجداد العبرانيـــين فهم بذلك أصلا ســـامبين .

وفي النـــاحية الشمالية الشرقـــية للساحل الفينيقـــي كانت تمتد إمبراطورية "ميتاني" الـــواسعة في المنطقة المعروفة لدى المصريين باسم "نهـــارينا" وقد توسعت فـــي بلاد "خاطي" و"أشور" وهو ما جعل هذه الدول تفكر في الثأر لنفسها[2] ،وهو الأمر الذي دفع دولة ميتاني إلى البحث عن حليف يكون قادرا على نجدتهاوالمحافظة على مناطق نفوذها، فكانت الدولة المصرية آنذاك أولى بذلك حيث أتاح للفرعون فرصة التدخل بإعتبار نفسه حامي هذه البلاد ، وهو ما وسع في دائرة نفوذه ببلاد آسيا إلا أن انحطاط القوة المصرية في عهد "أمينوفيس الرابع" أتاح للحيثيين فرصة الانقضاض عليها وإدخالها تحت سيطرتهم ولم يكن لوجود القوة المصرية بالمنطقة إلا اسمياً ،وما يجب معرفته عن هذه الدولة هو أن الحوريين إعتبروا مؤسسيها ، واتخذت "واسوفاتي" على "الخابور" [3] عاصمة لها وموقعها اليوم ربما الفخارية .

وبما أن الساحل الفينيقي والمناطق الداخلية لسوريا ولبنان وفلسطين التي يتركز عليها بحثنا وكونها نقطة الصراع التي كانت سرحا لذلك الصراع بين

A. Jirku.Le Monde De La Bible, trad de l'ahlend par lily jumel-Edl cerrea, buch et chstel-paris1958, p,31. - [1]

D. Etienne et Vandirer Jaques.Les Peuples De L'orint Mediteraneen L'egypte-PUF, paris, p,412. - [2]

[3] - حتي فليب .تاريخ سوريا ولبنا وفلسطين ,ص،**170**.

مختلف دول الشرق الأدنى ، فانه يمكننا أن نتطرق إلى أهم تلك الممالك التي كان لها اعتبار بالساحل الفينيقي ويأتي على رأسها :

مملكة أوغاريت : أدت الحـــفريات الكثيرة التي قـــادها الفرنسي *CFA shffer*، إلى الكشف عن نصوص كثيرة مكتوبة بالأكادية والمصرية والحيثية ، بها مجموعة معتبرة من النصوص تحتوي ملاحم وأساطـــير ،ووثائق أخرى إدارية ودبلوماسية ودينية★ [1] وجميعها يدل على علاقات متنوعة مـــع العالم المجاور لها الذي لم ينقطع يوما في الاتصال بها سواء عن طريق البر أو البحر وهو الأمر الذي أكسبها إرثا تاريخيا غنيا جدا بين مدن الساحل الفينيقي .

وفي عام 1953م كشف عن وثائق لملوك أوغاريت و أورشليم موجهة إلى ملوك الحيثيين وغيرهم...(2).

تعد أوغاريت من اقدم المدن الفينيقية وأهمها ،بحكم موقعها الجغرافي الذي يجعل منها مدينة تجارية تقع في ملتقى المواصلات بين الحيثيين وبلاد الرافدين ومصر وقبرص والمدن الاغريقية والواحات العربية في الصحراء (3) ،وانطلاقا من الدور الذي لعبته خلال الألفين الثالثة والثانية ق.م ،في فترة إحتدم الصراع بين القوى الكبرى حول إمتلاك فينيقيا ،إستطاعت أن تتصدر الريادة بين دول فينيقيا ،بسبب جرأة سلالتها الحاكمة ،بالاخص في عهد "نقمادوا" ،الذي كان بارعا في الحفاظ على إستقلال بلاده (4) . ورد ذكـــرها في نصوص مدينة "ماري" التي

*** تم تفسير النصوص المتعلقة بحفريات رأس الشمراء من طرف كل من الفرنسيين DHORME (E)وVIROELLAUD**

2 - موسكاتي سباتينو .تاريخ الشعوب السامية, ص،119.

3 - Encyclopaedia Universales ,vol 16 France ,SA ,1980,p,446 .

4 - J, Boulous .les peuples et les civiisations du proche orient TI,mouton et co,paris1961,P,98 .

تعود الى الألف الثالثة ق.م ،وألواح بوغازكوي وتل العمارنة ويحتمل أنها كانت مـــأهولة منذ الألف الخامسة ق.م ، لـــكنها لم تبلغ ذروة الازدهـــار الا في الألـــف الثانـــية ق.م [1] بالاعتمـــاد على الـــصناعة الـــفخارية [2] جعلت أهميتها الإقتصاديـــة محط أنظار الغزاة مما عرضها للتخريب عـــدة مرات ،كـــما إستطاعت أن تجـــذب إليها الـــناس من المـــناطق المجـــاورة ،خـــاصة المدن اللبنانـــية كالـــصيدونيين والجبيليين الـــذين عملوا كـــوسطاء بينها وبين بـــلاد الـــرافدين والبحر المتوسط .

ومنذ الفترات الأولى لبروز الحيثيين على الساحة السورية ،سارعت إلى التحالف مع ملوك مصر لحماية نفسها من أي تهديد حيثي قد تتعرض له ،مع حرصها الكبير على إستمرار علاقات جيدة مع جيرانها في كريت وبلاد الرافدين .

وخلال القرن 17ق.م ،تعرضت للهيمنة الحورية لمدة قرنين من الزمن تقريبا ،وأثناء غزو الهكسوس لمصر تراجعت تعاملاتها مع جيرانها حتى سنة 1580ق.م ،تاريخ عودة النفوذ المصري إلى سوريا فجدد الأغاريتيون التفاهم مع المصريين ،الذين كانوا يفرضون عليهم أحيانا إقامة مخيمات لهم داخل المدينة ،وبذلك إستفادوا من التواجد المصري خلال القرنين 14،15 ق.م فعرفت عندها أوج إزدهارها وتوسعها التجاري ،كما إزدهرت بها صناعة النسيج الأرجواني الذي إشتهر به الفينيقون في شرق المتوسط [3] ، ولقد قدمت للعالم أول أبجدية عالمية مكونة من 30 رمزا ستكون أساس الابجديات الأخرى.

A, Jirku .Le monde de labible,trad W .J,ed correa - [1] buchot ,paris1958 ,p,29 .

Armand Daniel ,op cit ,p,174 . - [2]

[3] - حتي فليب.تاريخ سوريا ولبنان ,ص،140.

خلال منتصف القرن 14 ق.م أصبحت لأوغاريت سلالتها الحاكمة الخاصة بها ويعتبر "نقمادوا" أهم ملوكها آنذاك ،وقد إستطاعت هذه الشخصية أن تحافظ على إستقلال بلادها بدفع الضرائب للملك الحيثي "شوبيلوليوما" ونجحت بذلك في الدفاع عن نفسها في حالة إعتداء أحدهما على الآخر غير أنها كانت أكثر جنوحا لمصر [1] .

ونــظرا للوضعية التي كــانت عليها اوغاريت سارعت كل من الدولة المصرية ونظيرتها الحيثية إلى إستغلال قوتها العسكرية وأهميتها التجارية والإستراتيجية وأقامت معها أحلافاً عسكرية مثلما كان عليه الحال مع المصريين ،خلال منتصف القرن 15ق.م ،حيث كونت معها حلفاً دفاعياً باشتراك دولة "ميتاني" وهي الفترة التي ساعدت على توفير فترة الاستقرار أدى إلى تطورها بدرجة كبيرة خاصة عمرانيا ونشط تعاملها التجاري مع المناطق المجاورة في كريت وقبرص ولعبت دور الوسيط بين مختلف مناطق شمال فينيقيا ،وبعد العودة التدريجية للنفوذ المصري في فينيقيا دخلت اوغاريت من جديد في دائرة النفوذ المصري ،وعاد نشاطها البحري للازدهار من جديد ،فتزايد تمركز الجاليات الكريتية والأيجية بها ، كما دلت على ذلك صناعة القبور التي عثر عليها في أوغاريت [2]، وخلال القرن 13ق.م ،تعرضت لهجوم شعوب البحر التي كانت سببا في إنهيارها فكان مصيرها نفس مصير جيرانها في آسيا الصغرى والساحل الفينيقي ، وبذلك أفل نجمها وفقدت دورها البارز التي كانت تعرف به .

وحتى إذا كنا نقر بالأهمية الكبيرة للدور الذي لعبته أوغاريت ،إلا أن الواقع السياسي للمدن الفنيقية آنذاك كان يعطي مظهرا حقيقيا للتفرقة ،مما أضعف

---

[1] ــ **دروزة محمد عزة.تاريخ موجات الجنس العربي ,المكتبة العصرية,لبنان ,ص،162.**

[2] ــ **نفس المرجع,ص،79.**

جانبها وجلب إليها أطماع القوى المتنافسة ،ثم أن تلك الوضعية كانت إنعكاسا لواقع البلاد الذي يوحي بدوره بالانقسام بين أبناء البلد الواحد ،فلم يفلحوا في تكوين دولة موحدة على غرار جيرانهم في مصر وخاتي ،وأكتفوا بالتبعية لغيرهم في أكثر الأوقات (1)

و لم تكن أوغاريت المملكة الوحيدة بالمنطقة ولكن على العكس فقد وجدت إلى الجنوب منها وإلى شرقها ممالك مدن عديدة ، وجدت خاصة منها إلى الجنوب على الساحل "مملكة جبيل" التي إشتهرت عبر تاريخها القديم خلال الألف الثاني بعلاقتها الجيدة مع مصر حتى أثناء الغزو الحيثي لها فإنها ، لم تغير سياستها إتجاه مصر. إلى جانب اهميتها الاقتصادية ،حرصت مصر على الحفاظ عليها طويلا وحمايتها .ووجدت إلى جانبها عند سفح جبل لبنان طرابلس ،والبترون ،وبيروتوس وصيدا وصور،وسميرا وأرواد ، وفي فلسطين غزة ،وعسقلان وهي معظما تقريبا ممالك فينيقية .

وأثناء تقدم الحيثيين في الساحل الفينيقي أشارت رسائل تل العمارنة إلى مدن وممالك كثيرة وقد جاء معظم تلك الرسائل من ملوك جبيل ،وصور ،ونخاس والقدس ،وقطنا وصمير،وتونب (بعلبك)، ارسلوا خلالها رسائل طلبات الأستنجاد إلى الفرعون "أخناتون" ضد الخطر الحيثي وحليفهم العموري "عبد عشتار" وإبنه "عزيرو" كما ذكر "سيتي الأول" أنه اخضع أسد رالون (مرج بن عامر) وينعم ،وشنيب ،أما "تحوتمس" فقد تصدى بدوره أثناء معركة "مجدو" إلى ملوك مدن (مجدو ،وينعم وأينوم ،وحرنكه ،وأبقى ،ويحما ،وتايمن ،وسوكا ومحل وتبعل) (2) وهي في معظمها مدن داخلية والتي يمكننا أن نضيف إليها مدن :جزر ،ولاكش

---

[1] - A. Cyrile ,L'Empire des pharans,ed Fayard,paris1980,p,155 .

[2] - دروزة محمد عزة. تاريخ موجات الجنس العربي,ص،108.

وهازور،شاكي أورشليم ،وقرقميش ،وحلب ،وقطنا ،ودمشق ،وغيرها كثير لايمكن حصرها في بحثنا هذا .

أوضاع الساحل الفينيقي الإقتصادية خلال الألف الثانية ق.م:

ان الــتضاريس والمــناخ المــتوسطي الــذي يتوفر عــليه الســاحل الــفينيقي من أراضــي سهلية خصبة ،خاصة في الناحية الغربــية والوسطى منــه حيث تمتد سهول البقــاع والسهول الســاحلية ،وإلى جنوبــها ســهول فــلسطين التي تتميز بخصوبتها و وفــرة إنتاجها الــزراعي وكثافــة نشاطها البشري ومن جهة اخرى فان الامتداد الكبير للساحل الغربي الواقع الى الشرق من البحر المتوسط ساعد كثيرا من الاهالي في الاتجار والاتصال بغيرهم من شعوب البــحر فتكونت بينهم عــلاقات تجارية في نفــس الــوقت الذي أصبحوا فيه بمثابــة حلقة وصل بين الشرق والــغرب ممــا نتج عنه تــركز ثروات طائــلة بأيديهم(1) .

و بدوره فإن المنــاخ المــتوسطي الــذي يتميز بالاعــتدال أوجد أمام السكــان ظروف حسنة لممارسة نشاطاهم الإقتصادية حتى أصبحت فينيقــيا وما إكتسبته من أهمــية إقتصــادية مــحل إغراء لكل جــيراهم وهــو ما دفــع كذلك أشــهر فراعنة الأسرة الثــانية "خوفو" و"خفرع" إلى الإهتمــام بالمنــطقة مبــكرا حيث جلبوا منها أخشاب الأرز الممتازة لبناء معابدهم المتمثلة في الاهرامات وإستمر الأمر نــفسه عند وصول "سيــتي الأول" إلى الحــكم وإعــادة فرض سيــطرته على الساحل الفينيقي، حــيث أشــارت الأثــار المصرية إلى قيــام بعض مــلوك الجبل بلبــنان مــرة أخــرى بقــطع

J, Boulous .op cit,p,31-32. - 1

الخـــشب وإرســـاله إلى مصر كـــضريبة [1] وربما كان الخشب أهـــم مورد دفع المصريين إلى تـــوطيد علاقتهـــم مع جـــبيل وسوريـــا ، كما تميزت بادية فنيقيا بوفرة مراعيها مما ساعد على تطوير تربية الماشية ودفع البدو والرعاة الى النزوح اليها بأعداد كبيرة بـــعد أن وجدوا فيها ما يـــكفي لماشيتهم من مراعي ،وهـــي نفس الأهـــمية التي مـــازالت تتميز بها ، حيث تجلب في فصل الربيع عند بـــروز الإخضرار ، أعداداً لا بأس بها من البدو الرعاة .

إن هـــذه الأهمـــية الإقتـــصادية والإستراتـــيجية الهـــامة كاد أصحابهـــا أن يحـــرموا منها في أغلب الأحيان بسبب تحولها الى منطقة تنـــافس بين القوى العظـــمى ،وهذا بـــغرض الإستفـــادة من خـــيراتها ومواردها حيث كثيرا مـــا كان يـــشار إلى المـــنطقة بأنها تفيض بخيراتها الـــتي لا تحصى "فسنوحي" المصري الذي هرب من بـــلاط الفرعـــون سجل في مـــذكراته بـــعد السماح لـــه بالعودة إلى بـــلاده أنـــه عند وصـــوله إلى فينيقيا خصصت له أرض طيبة فيهـــا تين وكروم أكـــثر من المـــاء وكان شعير وقمح وماشية لا عدد لها [2] .

أ- الزراعـــة :

ونـــظرا لكون الأرض قـــادرة على أن تجـــود بكل بهـــذه الخـــيرات فـــكان مـــن المؤكـــد ان تنال الـــزراعة نـــصيبا من إهـــتمام الـــفلاح الـــفنيقي ، حيث مـــارسها عـــلى نـــطاق واســـع ، فـــاستغل أرضـــه بادوات مختلفة حيث استعمل الفينيقيون المحراث الخشبي الذي اقتبسوه عن سكان بلاد الـــرافدين و طـــوروه بصناعتهم لمحراث يبذر الحبوب بصورة آلية [3] و استعمل

---

[1] - A . Moret .Des Clans Aux Emdires.p,356.
[2] -حتي فليب.تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ,ص،138.
[3] - مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ج16 ، لبنان ، 2001،ص ، 123 .

المحراث الذي كان يجر بقوة الانسان أو الحيوانات ، ويتألف المحراث البدائي من قطع من الخشب غير مهذبة مجمعة بعضها إلى بعض بأربطة ، وهذا ما دلت عليه النقوش الآشورية باعتبار أن المحراث المستعمل مأخوذ من بلاد الرافدين ، كما دلت النصوص على أن هذا المحراث باذر بدليل وجود ماسورة جوفاء منتهية بوعاء لوضع الحبوب فيه (1)

لقد ظهر اهتمام الفينيقيين بنشاط الزراعة ، وهذا ما نستشفه من خلال الشواهد الأثرية عند الفينيقيين ، وحتى عند بعض الشعوب المجاورة لهم كالمصريين و الإغريق ، إلى جانب إستعمالهم المنجل الصواني(2) ، و قد وجد منجل مسنن مركز في مقبض مصنوع من الخشب أو العظم و قد استعمل في عملية حصاد القمح و الشعير إلى غاية استبداله بالمنجل الحديدي وكان ذلك حوالي 1000 قبل الميلاد ، كما وجدت في حفريات رأس الشمرا معول برونزي (3)

مع الإشارة إلى أن هذا المجتمع الفينيقي كان خلال تلك الفترة من الزمن يتكون في أغلبه من طبقة فلاحية ومستأجرين أحرارا تسمى "خابشي" (kapishi) (4) وهو الأمر الذي جعل الزراعة ذات مكانة جد مرموقة دفعت بسكانها إلى تسمية آلهتهم بأسماء الأشجار المعروفة في عهدهم ، مثل تامرا (تمر

1- جورج كونتو ، الحضارة الفينيقية ، ترجمة ، محمد عبد الهادي شعيرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1997، ص ، 342 .

2 - أنيس فريحة ، ملاحم وأساطير من أوغاريت ، (رأس الشمرا) ، بيروت ، 1966.، ص ، 22 ..

3- فليب حتي ، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر ، ترجمة أنيس فريحة ، الطبعة 3 دار الثقافة بيروت ، 1978، ص ، 123 .

4 ـــ حتي فليب.تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ,ص،93.

النخل) وريمان (الرمان) ،وأتلسا(حب الأتاس) (1) ،والملاحظ أن سكان فينيقيا آنذاك برزوا كثيرا في زراعة الأشجار المثمرة كالزيتون والكروم ،والتين مع إهتمام كبير بتطبيق التجارب الزراعية في بلادهم ، ذلك أنهم أخذوا زراعة الكتان وزراعة الكروم وحفظ الحبوب عن المصريين ، مع الإعتناء كثيرا في الوقت نفسه بتربية الماشية التي إستفادوا من مشتقاتها ، وفي هذا الإطار نقرأ في أثار "تحوتمس الثالث" أنه من بين غنائمه في فينيقيا 40000 رأس من الغنم، و 400 رأس من البقر و120 حمارا و 1000 حصان ، و100كلغ من الجلد (2) .

ب- الصناعة :

كان من نتائج إزدهار التجارة في المنطقة تطور الصناعة التي ساعدت كثيرا بدورها على إنجاح التجارة الفينيقية ، حيث تنوعت وبلغت درجة لابأس بها من الجودة ، مما أكسبها رواجا في الأسواق الخارجية والداخلية وإشتهر من هذه الصناعات بناء السفن البحرية المدنية والحربية(**أنظر الملحق رقم(2)**)،وصناعة العاج والزجاج وصناعة الأقمشة ،القطنية المصبوغة ،وصناعة الأصباغ ،خاصة اللون الأرجواني مع إستعمالهم تقنيات متقدمة لصناعة الأشياء الفاخرة ولو أن تلك الصناعة لم تكن بعيدة إطلاقا عن التقليد خاصة منها صناعة الخزف التي قلدوا فيها الصناعة الإيجية والمصرية والكريتية ،والموكينية . في الوقت نفسه أعطوا إهتماما كبيرا للخشب كمورد إقتصادي هام ليستعمل بالدرجة

---

[1] ــ عادل ابو المصر.تاريخ الزراعة ,ط1,لبنان1960,ص،45.

[2] - **E . Cavagnac. Popilation et Capital dans le Mond medit antique ,oxford universiti prep1923,p,13.**

الاولى في بناء السفن الحربية منها والمدنية وكذا الاسلحة واستعملوه ايضا في صناعة الادوات التي يستعملونها في حياتهم اليومية إذ يعتبر الخشب اهم مورد صناعي يعتمدون عليه في اقتصادهم ،والتي ما زالت بعض أشجاره مجودة إلى يومنا هذا ، كالارز والسندريـــان والـــبلوط ، والصنوبر ،والصفصـــاف والـــزيتون ، وبالرغم من الظروف الـــطبيعية الجـــبلية الـــصعبة أحيانـــا إلا أنه تمكن من التغلب عليـــها بإهتدائه إلى طريـــقة المـــدرجات التي ســـاعدته كثيرا عـــلى تـــطوير إنتاجـــه لكفاية مجتمعه ، ذلك الإنـــتاج الذي لم يـــتأثر إلا في العهد الحـــيثي بسبب ما كـــان يسود البلاد مـــن فوضى وإضـــطراب حـــال دون قيام ذلك الفلاح بمهمته.

واستطاع الحرفيون في هذا المجتمع أن ينالوا مكانة مرموقة بين الارسقراطية الإقطاعية المؤلفة من النبلاء المحاربين ، وقد انتظموا في نقابات ارتبطت فيما بينها بروابط المهنة وكان من أهم تلك الحرف صناعة الخزف بسبب رواجها والإقبال الكبير عليها وسهولة تقنياتها ، وحرفة صيد المرجان التي سيطروا عليها وصنع الزجاج ، والعطور والأثاث والعاج ، والصباغة و الصياغة كالفضة والذهب .....التي اضحت من اهم صادراتها(1) .

ج- التجـــارة :

ومن الجـــوانب الإقـــتصادية الأخرى التجارة ، التي إمـــتاز بها الســـاحل الـــفينيقي وكانت إلى جانب كونها نعمة على الأهالي كانت نقمة ، إذ جلبت إلى المنطقة أنظار بـــقية الـــدول الـــطامعة في الثروة والسيطرة فسارعت إلى العمل جـــاهدة من أجل إدخـــالها تحت نفوذها إذ لا يمـــكن في هذا الإطار أن يخـــفى

1- احمد حامدة ، المرجع السابق ، ص،64.

علـــينا الموقع الـــذي وجـــدت فيه فينيـــقيا حـــيث كانت ملتقـــى الطرق التـــجارية القـــادمة من الـــشرق وآســـيا الـــصغرى وبـــحر إيجه ومصر [1]،يضـــاف إلى هذا إمتداد ساحلها من الشمال إلى الجنوب مما سمح لهم بتهيئة موانئ إستطاعت أن تحقق لها درجة عـــالية من الإزدهار خـــلال فترات متتالية من الزمـــن ومهمـــا يكن فـــإن إقـــامة الفينيقيين لتلك الموانئ كانت تقتضي الى طرقات تجارية[2]، فرضت عليهم أن يحرصـــوا على أن تقوم بـــينهم وبين غيرهـــم علاقات حسنة ، ومثلما نـــشطت التجارة عـــبر البحر فإنها نشطت برا ، وتمثـــلت أهـــم الصادرات بـــالمنطقة في الخشب نحو مـــصر خاصة ، التي كان يتم الإتـــصال بها عـــبر البحر إنطلاقا من موانئ فينيـــقية نحو مصب فروع النيـــل على المتوسط أو عـــبر الطريق الساحلي مرورا بفـــلسطين وشبه جزيرة سيـــناء ولكن هذا الطريق الأخير كان قليل الإستعمـــال بسب الأخـــطار التي كان يشكلها البدو على أمن القوافل [3] .

وعـــلى العموم فإن الأوضـــاع الإقتصادية لفينيقيا خلال القـــرن 14ق.م ، كانت تعرف شيـــئا من الإزدهار ، خـــاصة أثناء فترة الوجود المصري الذي كان طابـــعه الإستعمـــاري يختلف تماما عن نظـــيره الحيثي الـــذي إمتاز بصفته التخريـــبية والهمجية ، حتى أنـــه لم يخلف أي أثـــر ذا مظهر حضـــاري بـــالمنطقة وإنما كـــان أساس وجـــوده بـــالبلاد يقوم بـــالدرجة الأولى عـــلى

---

1 - Le Grand Atlas de L'Histoire Mondial ,p,50 .

2 - احمد حامدة ، التجارة الكنعانية (الفينيقية)في البحر المتوسط ، دراسات تاريخية ، دمشق، العدد.74، آذار ، حزيران ، 2001، ص،64.

3 - G. Dykmans. Histoire Econmique et soicial de L'ancien egypte T1-ed auguste picard.paris1936.p,227.

الحصول على الضرائب وتدعيم وتأمين حدوده الجنوبية كيفما كانت ، ولكن ذلك لا يتحقق له إلا بالوصول إلى طرد المصريين وكانت أول خطوة لابد منها لتحقيق ذلك هي نشر الفوضى في مناطق نفوذهم وهو ما إنعكس سلبيا على أوضاع الساحل الفينيقي بحيث لم يجني إلا الخراب والدمار[1] .

4 – الجانب العسكري لقوى الصراع في الساحل الفينيقي أثناء القرن 14و13ق.م :

إنصب إهتمام الإمبراطوريات الكبرى في الشرق الأدنى خلال منتصف الألف الثانية على تطوير الجانب العسكري الذي كان يعتبر الأساس الوحيد لوجودها وسيطرتها وعملت كل دولة على أن تكون سباقة إلى إقتناء أحدث الأسلحة وأفتكها آنذاك والتي تمكن من التفوق وضمان النصر في المعارك ، وهذا الأمر في حد ذاته فرضته التطورات السياسية الكبرى في المنطقة التي دفعت معظم تلك الشعوب إلى إنتهاج الإتجاه العسكري البحت ، حتى ولو أن بعضها كان ذا طابع فلاحي كالمصريين في الوقت الذي كان بعضها أمما حربية ، حيث ذهبت بعض الشعوب إلى ترك أسلوب حياتها الأول وإهتمت بالحرب والغنائم ، إلا أن ما يثير الإهتمام أكثر والتساؤل هو كيفية تفسير ذلك التناقض الذي كان موجودا بين قوى الصراع في المنطقة خلال القرنين الرابع عشر و الثالث عشر ق.م،

أ– جيش الدولة المصرية :

❖ تكوين الجيش :

---

1 - السيد غلاب ، المرجع السابق ، ص ،112

لقد سمح بالرغم من ذلك وجود شبه توازن بين تلك الأمم الحربية والغير الحربية ووصل الأمر إلى أن ظهر بعض التفوق من الجانب المصري ، فهل كان ذلك راجع إلى الإرادة الكبيرة التي توفر عليها المصريون من أجل الحفاظ على وجودهم أمام تهديد القوى العظمى لهم ؟، أم أن ذلك كان بسب قدرتهم في إستعمال تقنيات وأسلحة أكثر فاعلية[1] .

ولكن على عكس الدولة القديمة والوسطى فقد رأى فراعنة الدولة المصرية في تكوين جيوش نظامية قوية ، تكون قادرة على ضمان الحماية والأمن للبلاد ، وفعلا فقد توصلوا إلى تكوين فرق من الجيش معظم عناصرها في بداية الأمر من أبناء المقاطعات المختلفة للبلاد ، إلا أن ذلك لم يكن كافيا لتحقيق رغبة الفراعنة ، الأمر الذي دفعهم ، إلى الإسراع بالبحث عن حل لذلك ، ولم يكن أمامهم سوى تدعيم قواتهم بعناصر خارجية جديدة ، وبالفعل فقد وجدوا من المرتزقة العدد اللازم لذلك ، بعد أن جلبوا إليهم الأسيويين بعد إتصالهم بهم منذ عهد الأسرة الثامنة عشر بجيرانهم من الليبيين ثم شعوب البحر الذين يظهر أنهم كانوا ذا قيمة بالغة من الناحية العسكرية لدى الفراعنة الذين إتخذوا منهم حرسهم الخاص ، وكان أهم هذه الشغوب البحرية المرتزقة "السارداس" وهي نفس السياسة التي إتبعها أعداءهم في تكوين جيوشهم .

---

[1] - جورج كونتو،المرجع السابق،ص،353

والمتأمل للآثار المصرية المختلفة التي خلدت معركة "قادش" يمكنه إدراك ذلك التنوع في عنـــاصرها بسهولة من خلال هيآتها وملابسها وأسلحتها ، وقد كان الجيش المصري منظم في إطار فـــرق مختلفة الحجم تصل في عـــناصرها إلى أربـــعة آلاف رجل تتألـــف في قسمها الـــكبير من الرتزقة والـــباقي من المصريين ، يحـــمل كل واحـــد منهم ، إسم جـــندي وتنظـــم تـــلك الفرق أحـــيانا على الـــطراز الأجنبي كـــالحيثي او الاشوري او الميتاني والحوري... ،حـــيث عرفت بـــ "نعارين" و "بيت" [1].

كانت تسند مهمة الإشراف على تلك الفرق الى قادة مصريين أو قائد ينتمي إلى نفس عناصر الفرقة الأجنبية على شكل سرايا عددها مجهول حملت كل منها اسم معين منذ الأسرة الثامنة عشر فكان منها سرية "أمون" و"جمال قرص الشمس"و "متلألأة كقرص الشمس" .

❖ **الاسلـــحة :**

كان معظم سلاح الجنود المصريين يتمثل في الفؤوس وكان الفرعون يتفضل عادة بتكريم ضباطه باعطائهم فؤوس ذهبية ، ونظرا لاتصالهم بالاسيويين فقد توصلوا الى اقتباس المنجل التي نالت اهمية بالغة لديهم ، ووصلت الى درجة انها اصبحت احد الاسلحة الرمزية للفرعون واكثر آلهة مصر ، واضيف الى جانب استعمالهم السيوف القاطعة الطويلة ، والسيوف القصيرة وكانت مفضلة لدى الفرعون[2] .

---

[1] - أرمان أدلوف . مصر والحياة المصرية في العصور القديمة, ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال, مكتبة النهضة العربية, القاهرة, ص،625.

[2] - أرمان أدولف،المرجع السابق، ص،630

والى جانب هذا كله عرفت لدى المصريين اسلحة اخرى كالاقواس التي يظهر انهم نقلوها عن غيرهم من الشعوب ، وكانت تصنع من الخشب الصلب في اشكال مختلفة فقد تراوح طولها المتر والنصف احيانا ، وكان اهمها الاقواس الهلالية و النصف دائرية ومثلثة الشكل [1] ،توضع على اطرافها وبوسطها اغلفة عظمية لقرون حيوان وصنعت لها نبال من القصب ادخل في احد طرفيها قطعة برونزية حادة ، وعلى العموم فان اسلحة الجنود ككل انحصرت في الفؤوس الحربية ، والقوس و الحربة والسيف والمطرقة ، والعصى ، والدروع التي كانت طويلة تصل المتر وهي على شكل اطار وضع عليه جلد ثور.

ولقد بلغت العربة درجة من الاهمية حيث عرفت لديهم باسم "تنت حاتور"[2] وجعلوها بمثابة الدبابة في ايامنا هذه ، وكانت لا تعطى الا لعناصر معينة ينتمون عادة الى الضباط الكبار والمثقفين وحتى السياسيين وعرف سائقها باسم "كوزن" ام "كوزي"[3] تزود بجعبتين في متناول يد المحارب لوضع الاسلحة من رماح وفؤوس حربية ويزود المحارب عليها بالعصي والمزارف.

❖ **اللباس الحربي :**

اعتبر الاهتمام باللباس الحربي احد الامور الهامة لنجاح المعارك فكانت كل قوة تراعي ضرورة توفر اللباس الذي يضمن الراحة والحركة الكاملة

P. Avnderberg.rameses II, p,80 - [1]

[2] **- أرمان أدولف،المرجع السابق، ص،630**

[3] **- جورج كونتو، المرجع السابق، ص، 256**

للجندي واختلفت هذه الملابس كما اختلفت الاسلحة باختلاف عناصر الفرق المصرية .

كان يصاحب الجيوش المصرية حملة الاعلام التي كانت توضع على قوائم طويلة وتحلى بريش النعام رمز النصر وعلى كل منها رسما او صورة لحيوان كالاسد والحصان او آلهة وتتقدم هذه الاعلام عادة فرق الجيش المصري ، وكان اهمها العلم الذي يتقدم كل الجيش ويحمل على خشب ثمين على ذروته صورة كبش أمون فوقه قرص شمس ، صورة رمزية لاعظم الآلهة المصرية ويتم تثبيت هذا العلم على عربة مخصصة لذلك [1].

ب – جيش الدولة الحيثية :

❖ **تكوين الجيش :**

إن الدولة الحـيثية التي كـان وجـودها قـائما أساسـا على خـوض الحروب وإستعمال القوة لم تـحافظ على وجـودها إلا بقهر غيرها من الـشعوب التي كانت تـهددها على حـدودها الشمالية والـجنوبية في الوقت الذي كانت فيه قـواتهم مكونة أساسا من المـرتزقة وبنسبة كبيرة حيث إستـغلوا كل العناصر الـتي كانت في متناولهـم من الهند وأوربيين خاصة.

واستطاع الحيثيون بدورهم تنظيم جيش بشكل يتجاوب مع متطلباتهم وطبيعة الهجومات والتكتيك الذي كانوا يلجأون إليه ، ويمكننا أن نجد من أهم فرقة الجيش الحيثي فرقة العربات وهي أساس الجيش ثم المشاة وكان يعول عادة على جيش العربات الخاصة .

---

[1] - **أرمان أدولف،المرجع السابق ،ص،629**

❖ الاسلـــحة :

كان الجيش الحيثي يتوفر على سلاح بسيط يتمثل في العصي الغليظة والفؤوس الحربية والمطارق والدروع والحراب والرماح [1] ، كما لعبت العربة دورا فعالا في المعارك اكسبتهم تفوقا على الجيش المصري باستعمالهم ثلاثة جنود في العربة الواحدة مقابل اثنين في العربة المصرية[2]ولو انها كانت اكثر تفننا في كيفية استغلالها ، فكان دور العناصر الثلاثة يتمثل قي سائق العربة وحامل الدرع للوقاية والمحراب.. وهناك فرقة عرفت عند الحيثيين باسم "سوتو"[3] وهي فرقة مسلحة بالسهام والاقواس كانت وظيفتها الهجومات المفاجئة التي تتطلب الحركة السريعة والخفيفة.. اما البحرية فلم يكن لها دور يذكر لدى الحيثيين الذين لم يكونوا قادرين على تامين ترابهم برا لذلك لم يعطوها أي اهتمام يذكر

❖ اللباس الحربي :

يظهر الحيثيون على الاثار المصرية يرتدون لباسا طويلا وله اكمام طويلة ، اما على الاثار الحيثية فيبدون مرتدين بدلة قصيرة محاطة بحزام ،وكان اللباس الحربي مشابها لما عليه عند المصريين اذ يختلف اللباس من فرقة الى اخرى .

يبدو ان الاسلحة في الشرق الادنى كانت متشابهة خاصة اذا عرفنا ان طرفي الصراع المصريين، والحيثين حملوا نفس الاسلحة، اذ يمكننا استخلاص ذلك بسهولة من الصور التي خلدت معركة قادش لكن يبقى شيئ واحد يختلف فيه الجانبان وهو شكل الاسلحة واهمية الدور لكل منهما وبالاخص العربة.

---

[1] - P. Avnderberg.op cit, p,80

[2] - أرمان أدولف،المرجع السابق،ص،630

[3] - O ,R, Gurnes,The Hittites-Apelicam Book5,london,1952,p,106.

وعلى كل فقد إعتمد الجانبان الحيثي والمصري اساسا على فرق العربات التي كانت تلعب دورا فعالا في المعارك وبالاخص من الجانب الحيثي الذي تفوق فيها ، وفي الوقت الذي كان دورهم يقتصر عند الحيثيين في كونهم حرسا للملك والتدخل وقت الضرورة فقط بالاضافة الى تأمين سلامة العربات الناقلة ذات الاربعة عجلات ، ويحتمل ان يكون تفوق الحيثيين راجع لمعرفتهم المبكرة لها والتي ترجع الى ما قبل 1600ق.م (1) بينما لم بعرفها المصريون الا عند دخول الهكسوس لبلادهم.

اما ســلاح المشاة فكان له اعتباره الخاص وكانت اهميته تختلف عند الطرفين واذا كان عدد المشاة عند الحــيثيين لا يقل عن جنود العربات الا ان دورهم كان ثانويا على عكس المصريين الذين كان اهتــمامهم منصب على هذا الجانب الذي كان معولا عليه اكثر من غيره ، بينما انعدم الفرسان عند الجانبين ويعود ذلك من دون شك الى اهمية الحصان الذي كان صعب الاقتناء و لم يكن من نصيب الا بعض العناصر على راسها حملة البريد والملوك والامراء.

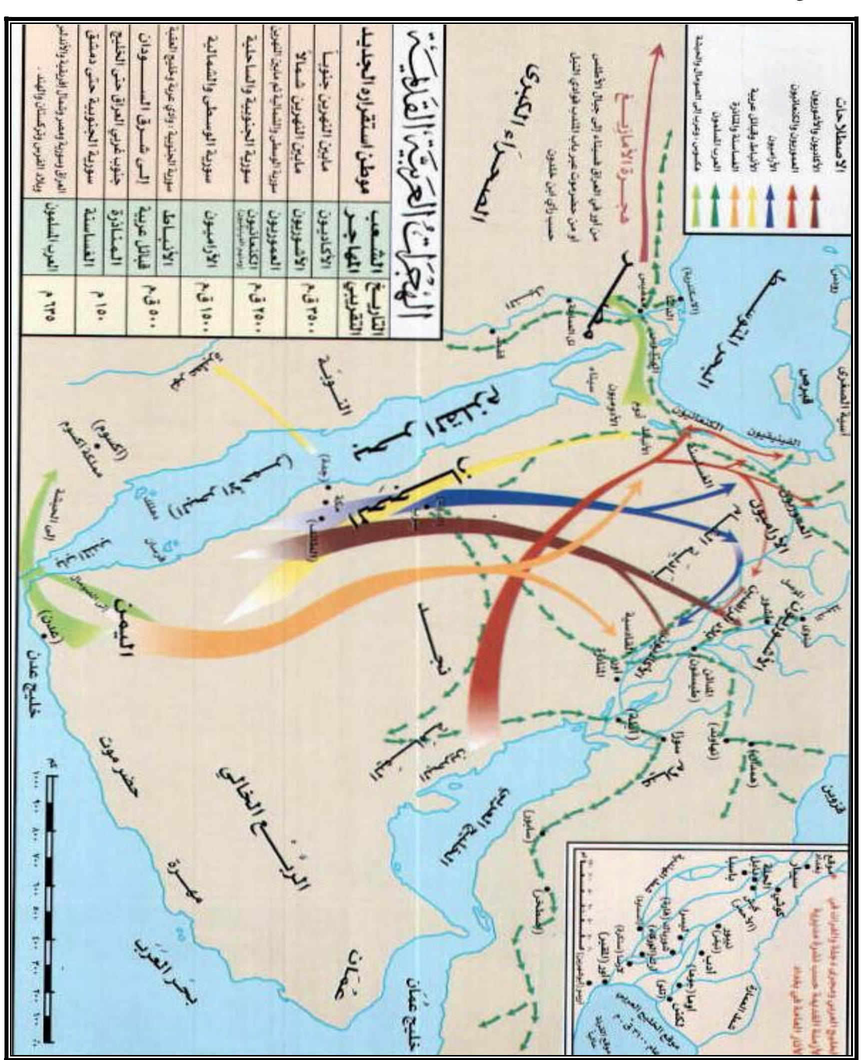
أما قوانين الحــرب فــلم تختلف في مضمونها لدى الــطرفين وفي معظمها تبيح شرعية النهب و الــتدمير للــمدن المغزوة و سبي أهلها ، حيث كــانوا يقسمون كعبيد على الــضباط و رجال الدولة ، كما يسمح القانون المصري بإضرام النار ، لكونه يرى ضرورة تفريغ المــعابد من آلهــتها حتى لا تــصب عليهم غضبها و لــغتها كما اهتم المــصريون باقتناء الأدوات المعدنية ، وعلى كل فقد انعدمت لدى الطرفين صورة التعذيب الــوحشي للأسرى مثلما كان عليه الأمر لدى الأشوريين(2) .

1- O ,R, Gurnes,op cit,p,106

2 _ Gurnes .O . R.op cit . pp,113 .115

الملاحق :

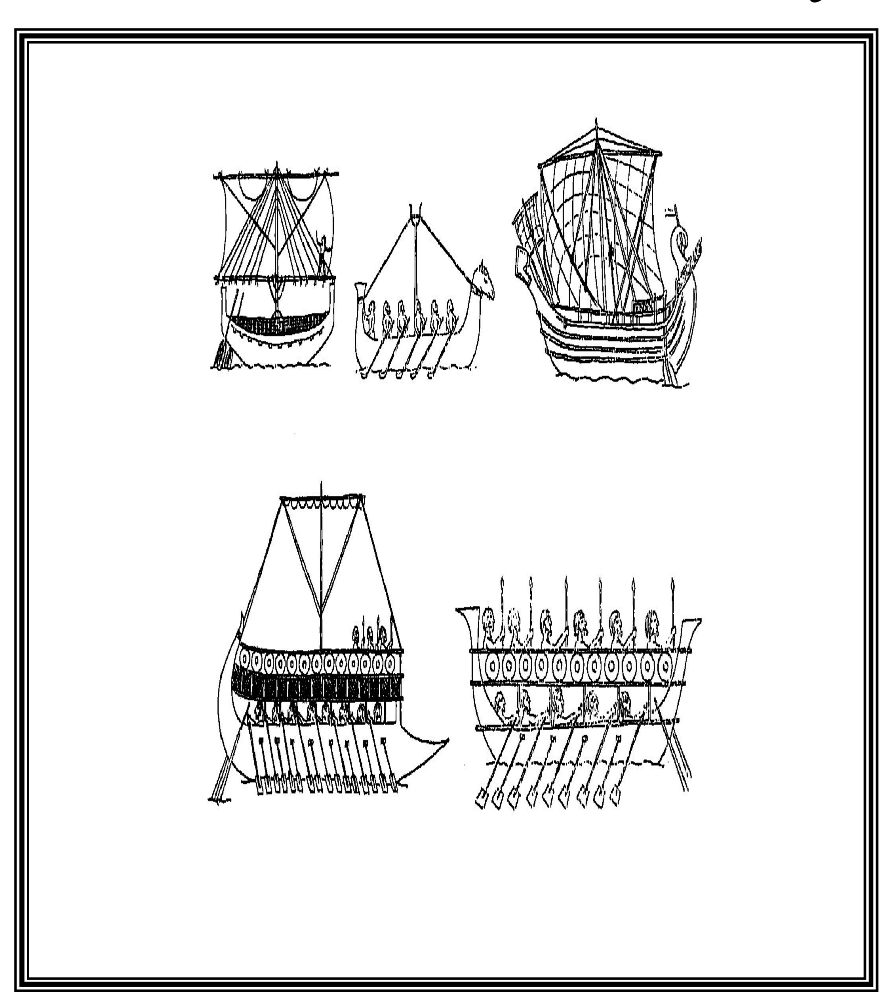
الملحق 1



خريطة تبين أهم الهجرات العربية القديمة

(شوقي أبو خليل،أطلس التاريخ العربي الإسلامي،ص5)

الملحق 2



شكل يبين صورة للسفن الفينيقية "الحربية والمدنية"

(عبدالله الحلو،سوريا القديمةص742)